"الإصلاح الأخلاقي الذي قام به صديق حسن خان في شبه القارة الهندية"

إعداد الباحث

سامح منصور حمد عبيد

باحث دكتوراه

كلية الآداب - قسم الفلسفة

جامعة السويس

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الإصلاح الأخلاقي الذي قام به صديق حسن خان في شبه القارة الهندية، حيث تشير الحياة في الهند عمومًا إلى آلاف الثقافات الغريبة والفريدة لجميع التوجهات والمجتمعات الموجودة في الهند وكثير منها مخالف للقيم والأخلاق الإسلامية ولذا كان لصديق حسن خان الدور البارز في ترسيخ ونشر الأخلاق السامية والرفيعة، فقد قام . رحمه الله . بإصلاحات أخلاقية عظيمة تأثرت بها طبقات المجتمع في شبه القارة، ولقد بدأ بنفسه وأسرته من خلال زوجته الأميرة وأبنائه، وقد ألزم العلماء والقضاة للقيام بدورهم في نشر الفضائل كذلك، وأنشأ لهم المطابع والمكتبات العلمية التي تساعدهم على ذلك، ومن الطبقات التي اعتنى بها طلبة العلم. فألف لهم الكتب التي تعينهم على ذلك. كما نصح الحكام والولاة برفع الظلم والفساد ونشر العدل والفضائل ونشر الأخلاق الحسنة لعامة المسلمين.

ومن أبرز من قام به صديق حسن خان الإصلاح الأخلاقي تجاه المرأة حيث رغب في زواج الأياشي والأرامل . على خلاف عادات أهل الهند وقتئذ، ومنع زواج المسلمات من الكفار، ودعا النساء للتعفف. وترك العادات القبيحة كالزنا والكذب والتبرج وعدم التشبه بالرجال. وترك الغيبة والنميمة.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح - الأخلاق - الفضائل

Abstract

This research addresses the moral reform undertaken by (Siddiq Hasan Khan) in the Indian subcontinent. Life in India is generally characterized by thousands of unique and diverse cultures representing various orientations and communities, many of which contradict Islamic values and morals. Therefore, (Siddiq Hasan Khan) played a prominent role in promoting and disseminating lofty and noble morals. May Allah have mercy on him, he carried out significant moral reforms that impacted various strata of society in the subcontinent. He began with himself and his family, including his wife, the princess, and children. He also urged scholars and judges to fulfill their role in spreading virtues, establishing printing presses and scientific libraries to support their efforts.

Among the groups he focused on were students of knowledge, for whom he authored books to assist them in their endeavors. Additionally, he advised rulers and sultans to eradicate injustice and corruption, promote justice and virtues, and spread good morals among the general Muslim population.

One of (Siddiq Hasan Khan's) most notable contributions was his moral reform concerning women. He encouraged the marriage of widows and unmarried women, contrary to the prevalent customs in India at the time.

He prohibited Muslim women from marrying non-believers and urged women to uphold chastity, abandon immoral practices such as adultery, lying, and ostentation, avoid imitating men, and refrain from gossip and slander.

Fixing - Ethics - Virtues

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وأصلي وأسلم على نبينا الهادي الأمين، رحمه الله للعالمين، سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يمكن التعبير عن الأخلاق بأنها قاعدة أساسية لبناء المجتمعات حيث تبنى عليها جميع القوانين والأحكام، وهي الأساس الذي تقوم عليه مبادئ الشريعة الإسلامية، الأمر الذي يجعلها أساس صلاح المجتمع، والدرع الواقي من المسببات المؤدية لاختراقها، وتحويلها إلى مجتمعات تحكمها الشهوات أو الغرائز ومن ثم سيادة قانون الغاب فيها.

ويُعد القرآن الكريم المصدر الأصيل للتربية الأخلاقية لدى المسلمين، وأخلاق الرسول هي الأخلاق التي بينها ربنا جل وعز، ودعانا إلى اتباعها في القرآن الكريم، وقد أدركت ذلك، وشهدته رؤية عين أقرب الناس إلى الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله، أم المؤمنين عائشة، فلم تجد وصفاً يبين عظمة أخلاق الرسول، إلا بنسبة هذه الأخلاق إلى الوحي الإلهي في كماله وجلاله فقالت: كان خلقه القرآن^١.

وتشير الحياة في الهند عموماً إلى آلاف الثقافات الغربية والفريدة لجميع التوجهات والمجتمعات الموجودة في الهند وتختلف لغات الهند ودياناتها وهندستها المعمارية وأطعمتها وعاداتها بين مكان وآخر في البلد والتي توصف بأنها اندماج لعدة ثقافات، تمتد عبر شبه القارة الهندية وتتأثر بتاريخ يمتد آلاف السنين، ولا شك في أن هذا كله له تأثيره الواضح على الجانب الأخلاقي والقيمي، ولذا كان للعلامة الكبير صديق حسن خان الدور البارز في ترسيخ ونشر الأخلاق السامية والرفيعة في شبه القارة

الهندية وتعد إشكالية الدراسة حول بيان منهج صديق حسن خان وفكره الإصلاحية، الذي قام به تجاه فئات المجتمع المختلفة

وقد احتوى هذا البحث على ثلاثة مطالب، وخاتمة، وقائمة بالمصادر، والمراجع.

المطلب الأول: الإصلاح الأخلاقي داخل طبقات المجتمع

المطلب الثاني: الإصلاح الأخلاقي لعامة المسلمين.

المطلب الثالث: الإصلاح الأخلاقي تجاه المرأة.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم المصادر والمراجع.

المطلب الأول: الإصلاح الأخلاقي داخل طبقات المجتمع

أولاً: أهله وأقاربه:

أحاط الإسلام الأسرة بسياجٍ من الأخلاق والفضيلة، ووضع العقوبات المناسبة لمن تُسَوَّل له نفسه المساس بهذه الأخلاق الإسلامية السامية؛ فحرم الظلم والفساد، والأقوال الفاحشة، والاختلاط ونهي عن أسبابه، وحرَم الزنا، والقذف، واللواط، وجميع الأسباب المؤدية لذلك، والنصوص القرآنية واضحة في تشديد العقوبة للمحافظة على بناء الأسرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، لذلك كانت لصديق حسن خان العناية الكاملة بأهله وأقاربه، حتى تعد زوجته -جهان بيكم- وأبنائه من طلبة العلم الذين تعلموا على يديه، وقد منحهم الأسانيد والإجازات العلمية.

وتمسك هو بنفسه بهذه الأوامر والقوانين، وأمر أهله وأقربائه بأن يمتثلوا بهذه الأوامر؛ بحيث يصبحون نموذجًا صالحًا، وقدوة حسنة للشعب فأثمرت هذه الخطوات نتائج مفيدة بناءة^٢.

ويوم ننجح في إحداث هذه الثورة الداخلية فسننجح في تغيير شكل المجتمع على النحو الذي يحبه الله ورسوله، ولا غرابة في ذلك؛ فالإنسان الفاضل يشيع فضلاً فيمن حوله وينبثق الإصلاح من داخل نفسه ومن أعماق ضميره ليغمر حياة كلها من حوله^٣.

ثانياً: إلزامه العلماء للقيام بدورهم في نشر الفضائل:

ومن ذلك:

أ- تحميلهم المسؤولية لنشر الفضائل: ولقد حرص صديق حسن خان لإبراز دور العلماء في ذلك، وتحميلهم المسؤولية الكاملة في نشر الفضائل فكان دائماً ما يقدمهم ويصاحبهم ويجلس إليهم ويضع كل واحد منهم أمام مسؤولياته فقال: وأنا راغب في مجالسة أهل العلم والأدب، ومذاكرتهم وملاقاتهم، ومنْ بأدابهم تأدب وتدريب^٤.

ب- توفير المطابع والمكتبات العلمية: وقد وفر لهم المكتبات العلمية التي شملت كتب السلف والخلف والمطابع المختلفة وحثهم على التأليف والكتابة، حتى شعر العلماء والباحثون في الهند والعالم الإسلامي بمنافع كبيرة، ونفحات علمية من الذخائر الفكرية التي وصلت إليهم عن طريق دور النشر في الهند، ومصر، والقسطنطينية، واعترف بها معاصرو الأمير العلماء، ورجال العلم والثقافة^٥.

ومساعي هؤلاء المصلحين المشكورة قد طهّرت المجتمع البهوبالي من هذه المفاسد والمنكرات، واطمأن الناس وعاشوا عيشة مريحة هنيئة، يذكرون السيدة الأميرة وزوجها السيد الأمير بالخير، ويضرب بهما المثل بالبر، والخير، والرفاهية، والرخاء، والسخاء^٦.

ج- تحمل العلماء المسؤولية في كونهم قدوات عملية للمجتمع: ووجه العلماء أن يكونوا قدوات نافعة تظهر أخلاقهم الطيبة لمن يعلمونهم فقال: يجب أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس: لا تتناولونه فإنه سم مهلك، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون: لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به.^٧

د- مراقبة أخلاق المتعلمين وتقويمها: ثم نصحهم أن يراقبوا أخلاق المتعلمين ويقوموا بها فقال: إن من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهيم حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار.^٨

وكان نتاج هذا الدعم الهائل أن علماء الأقطار الهندية وإن بالغ بعضهم في الرشاد إلى اتباع السنة، وقرر ذلك في مؤلفاته، وحرره في مصنفاته على وجه ثبتت به المنة لهم على رقاب أهل الحق، وشمر بعضهم عن ساق الجد والاجتهاد في الدعوة إلى اعتقاد التوحيد ورد الشرك والتقليد باللسان، بل بالسيف والسنان.^٩

ثالثاً: القضاة:

القضاء ولاية من الولايات الإسلامية المنصوبة لفض النزاع والاختلافات بين الناس وفق الشريعة الإسلامية، ولذا فإن القائمين عليها هم أهل العلم، وقد كان لهذا الصنف نصيب جيد من دعوة الشيخ صديق حسن خان.

أ- ألف كتابا يساهم في إصلاح القضاء صرح صديق حسن خان وألمح في بعض مؤلفاته بما ينبغي أن يكونوا عليه من الأخلاق الحسنة والقويمة،

بل نشر هذه الأخلاق وسط المجتمع الهندي، حتى إنه قد سطر كتابًا أفرده لأبواب القضاء، (ظفر اللاطي بما يجب في القضاء على القاضي)، حيث بين فيه الأحكام الشرعية المرتبطة بالقضاء والقاضي والتي مأخذها من الكتاب والسنة، يقول -رحمه الله تعالى- عن هذا الكتاب: وقد اقتصر في بيان ذلك -أي الأحكام الشرعية المتعلقة بالقضاء- على ما هو الأهم من المقاصد والأنفع من المراد على وجه ينال به المتأهل غاية مرامه ويستعين به المتأمل في حله وإبرامه.^{١٠}

ب- تعيين العلماء الريانيين للقضاء الشرعي: جمع لديه -رحمه الله- علماء راسخون، وجنودًا مجتهدين لخدمة الدين والعلم، نصبهم في المكاتب والمصالح، وفي إدارة الشؤون الدينية كالقضاء، والفتيا^{١١}.

ج- ترغيب العلماء في الدخول في سلك القضاء: ساق -رحمه الله تعالى- بعض أحاديث الترغيب في دخول المتأهلين للسلك القضائي حيث قال: "فمن أحاديث الترغيب ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا"^{١٢}. ومن ذلك حديث: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ»، وفيه: «وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَيُعَلِّمُهَا»، وهو في صحيح البخاري^{١٣} وغيره.^{١٤، ١٥}

د- دعوته إلى القضاة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال صديق حسن خان -رحمه الله-: «الذي تثبت له الصلاحية له مزيد خصوصية في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن جملة ذلك القضاء، وتنفيذ الأحكام الشرعية، والأخذ على يد الظالم وإنصاف مظلّمته، وعلى كل مسلم إذا قدر على ذلك فهو مكلف به وإنما اقتصرنا على من له الصلاحية؛ لأن مدخليته في وجوب ذلك عليه أتم وهو به أليق، وقد عرفناك أن القضاء شعبة من شعب الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وهو واجب على كل مكلف وعلى القادرين أوجب لا سيما العلماء العارفين بالمدارك الشرعية والمفروض أن القاضي منهم كما قدمنا، وحينئذ إذا لم يتم حكم الشرع منه إلا بأعوان تشتد بها وطأته على المرتكبين للمنكرات وهو واجب على كل مكلف وعلى القادرين أوجب، لا سيما العلماء العارفون بالمدارك الشرعية والمفروض أن القاضي منهم كما قدمنا، وحينئذ إذا لم يتم حكم الشرع منه إلا بأعوان تشتد بها وطأته على المرتكبين للمنكرات والمتساهلين في تأدية الواجبات والمتمردين على امتثال ما يقضي به شرع الله كان اتخاذ من يحصل به التمام من الأعوان ونحوهم واجباً على القاضي، وإذا لم يحصل امتثال الحق إلا بالتشديد، وتغليظ الوعيد، فذلك أيضاً متعين على القاضي^{١٦}.

قال أبو حامد الغزالي: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واطمحت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق هذا وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التتاد^{١٧}.

هـ - تحذيره للقضاة من أخذ الرشوة:

قال - رحمه الله تعالى - محذراً القضاة من أخذ الرشوة باسم الهدية: الهدية للقاضي نوع من الرشوة لأن كل فرد من أفراد الناس يمكن أن يوجد له غريم يرافعه إليه إما آجلاً أو عاجلاً. والصنائع تزرع الحب في القلوب وتحريم الرشوة ليس إلا لما تؤثره من الميل، ولا فرق بينها وبين الهدية في ذلك لأن الكل إحسان إلى القاضي والمتورع في دينه المتحري لنفسه من القضاة يأبى من قبول كل هدية من غير فرق بين من كان يهدي له قبل الولاية وغيره^{١٨}

رابعًا: طلاب العلم:

أ- تأليف كتاب أبجد العلوم: ألف صديق حسن خان كتاب أبجد العلوم وهو في ثلاثة أجزاء وضع فيها أهم الآداب والفضائل والأخلاق الحسنة التي لا بد أن يتحلى بها طالب العلم.

ب - دعوته إلى طلاب العلم للتخلي بالأخلاق الحسنة: تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف، إذ العلم عبادة القلب وصلاح السر وقربة الباطن إلى الله تعالى. فلا تصح هذه العبادة إلا بعد طهارة القلب عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف^{١٩}

ج- دعوته إلى طلاب العلم بإخلاص الطلب والبعد عن الرياء: أن يكون قصد المتعلم على الفور تخلية باطنه وتحميله بالفضيلة، وفي الحال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملائكة المقربين، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومجاراة السفهاء ومباهاة الأقران^{٢٠}

د- دعوته إلى طلاب العلم بعدم التسرع في تكفير المسلمين: يقول -رحمه الله- «وقد تساهل أهل البدع والطغيان وأصحاب الفسوق والعصيان، من طلبة العلم وعلماء الزمان، في تكفير كل من خالفهم في مسألة من المسائل الفرعية، أو قول من الأقوال البدعية، وأطلقوا عَنان القلم واللسان في ميدان هذا التكفير والتضليل حتى كاد أن لا يسلم أحد من أهل العلم والفضل المقتدى بهم في الدين، من جراحات لسان هؤلاء المكفرين إلا من عصمه الله ورحمة ثم يقول - رحمه الله تعالى: وهذا داء عضال قل من ينجو منه، صاننا الله وإخواننا المتبعين عن تبعات هذه المزلّة، وخطوات الشياطين^{٢١}

خامسًا: الحكام والسلطين:

أ-دعوته إلى الحكام بنشر العدل والبعد عن الفساد: عمل صديق حسن خان مع زوجته جيهان بيكم في محاولات جادة لتطبيق الشريعة الإسلامية في بهوبال، ونشر العدل والأخلاق القويمة ولم يكن الأمر هيئاً للإصلاح العام الشامل الذي كان الزوجان يبغيان بتحكيم الشريعة الإسلامية وتنفيذها؛ لأنَّ الإمارة منذ مئات السنين كانت تحت سيطرة حاكمين لا يهمهم إلا الحكم والاستيلاء، وتصدير الأوامر مطلقاً، سواء كانت عادلة، أم جائرة، ولم يكونوا عالمين بالشريعة، عارفين بروح الإسلام، عاضين بالكتاب والسنة، فكانت القوانين متنوعة حسب الظروف، والحاجات^{٢٢}

يقول صديق حسن خان: «وأما الحكام من أهل الرياسة والدولة، فحكمهم أيضاً حكم هؤلاء في إمضاء الأوامر والنواهي بما أنزل الله، وهو الكتاب المنزل من السماء على الرسول صلى الله عليه وسلم، والحديث المنزل من قلب الرسول ولسانه على الأمة، ولكن فسد الزمان فساداً بالغاً، وظهر الشر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، فلا يوجد واحد في ألف^{٢٣}

والفساد والاستبداد السياسي عواقبه وخيمة على البلاد والعباد، وقد برع في بيان ذلك، الكاتب العظيم عبد الرحمن الكواكبي وشخص هذا الداء الذي أصيبت به الأمة زمن ضعفها، وتكالب الأعداء عليها كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وقد وضع الكواكبي حلاً وخطة طويلة المدى لعلاج هذا الاستبداد.

يقول عبد الرحمن الكواكبي^{٢٤}:

(١). الأمة التي لا تشعر كلها أو أكثرها بالآلام الاستبداد لا تستحق الحرية ويجب أن يتم التغيير سلمياً وبالتدرج، ويتفق بهذا مع قانون الأنبياء في التغيير الاجتماعي: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وليس بقتل الحكام أو الانقلابات العسكرية في الظلام.

(٢) الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقاوم باللين والتدرج.

(٣) لابد من تصور البديل إذ يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل بالاستبداد ويتفق بهذا مع ديكرت الذي يرى في كتابه مقال عن المنهج أنه يجب عدم هدم البيوت القديمة مهما كانت سيئة فلا يفعل هذا مهندس عاقل ويضع أصحابه تحت المطر والريح بل لابد من تهيئة البيت الجديد فإذا انتقل إليه لم يرجع إلى القديم قط^{٢٥}.

ب- دعوته للملوك لتحكيم الشريعة الإسلامية: شملت الشريعة الإسلامية في مقاصدها وأحكامها أجل معاني الرقي والتحلي بالأخلاق السليمة لذلك دعا صديق حسن خان الملوك والأمراء لتحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد فقال -رحمه الله-: «إن الحكم بالكتاب والسنة الصحيحة واجب مفترض مُتَحَمَّ على كل أحد من الولاة والرؤساء والملوك والحكام، وعلى أتباعهم المأمورين من قبلهم والفتيا، بعد معرفة الحق^{٢٦}.

ج- التواصل مع الملوك والامراء ونصيحتهم: كان صديق حسن خان دائم التواصل مع الأمراء والحكام المسلمين ومثال ذلك تواصله مع سلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثاني، واتفق أنه اتحف إلى حضرة السلطان المعظم عبد الحميد خان ملك الدولة العثمانية تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن وكتب إليه كتابا في ذلك ف جاء إليه من بابه العالي المثال الغالي جوابا عليه مع نشان الدرجة الثانية المسمى بمجيدية ويقال له «ارنجي» بالتركية، وورد مكتوب من السيد خير الدين باشا الصدر الأعظم مع كتاب أقوم المسالك في أحوال الممالك هدية منه إليه وهذه نسختها^{٢٧}.

المطلب الثاني: الإصلاح الأخلاقي لعامة المسلمين:

كان للإمارة التي تقلدها السيد صديق حسن خان دورًا بارزًا في نشر الأخلاق الحسنة والفضائل الحميدة، بالإضافة إلى مكانته العلمية والتي ساهمت في تغيير شامل وعام في شبه القارة الهندية.

واستطاع الأمير -صديق حسن خان- بإخلاصه للعمل وخدماته الجليلة أن يحتل مكانة مرموقة في قلوب الشعب ورجال الحكم والبلاط الأميري.

يقول الدكتور محمد اجتباء الندوي: «ظهرت مآثر السيد الأمير -صديق حسن خان- الخالدة، ومكارمه المجيدة التي لا تزال بلادنا خاصة، وبلاد الإسلام عامة تجني ثمارها اليانعة»^{٢٨}.

أولاً: الترابط والتألف واعطاء الحقوق الإسلامية وذلك من خلال النفقات والصدقات واعطاء زكاة المال للفقراء والمحتاجين، ومن ذلك تنظيم حركة الزكاة طبقاً للشريعة الإسلامية.

وذلك عملاً بالحديث الذي رواه النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^{٢٩}.

ثانياً: الأخذ على يد المفسدين ورد المظالم إلى أهلها واعطاء الحقوق لأصحابها من خلال إنشاء دار الحسبة التي تقوم على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الفواحش المنتشرة.

وأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للاحتفاظ بالشعائر الإسلامية، والنهي عن مخالفة القوانين الشرعية، وعين فيها رجالاً أكفاء، مقدرين مسؤولياتهم، والقائمين بواجباتهم بإخلاص، وأمانة، ووفاء^{٣٠}.

ثالثاً: إحياء دور الشؤون الإسلامية وتعيين علماء صالحين لغرس الوازع الديني في قلوب عامة الشعب^{٣١}.

فإن المقصد الذي يريد أن يحققه الإسلام من خلال نظامه الاجتماعي، هو صون الأعراض، وكبح جماح الشهوات، وترويضها وضبطها، وتقييمها بضوابط أخلاقية، تضمن استعمالها في خير الإنسان وطهارته، بدل إهمالها أو تضييعها في الفوضى أو الهمجية^{٣٢}.

رابعاً: تنظيم إدارة المساجد في العاصمة والقرى والمدن وتعليم الناس الأخلاق الحسنة من خلال الخطب المنبرية والدروس اليومية، وذلك نشرًا للنصيحة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الدين النصيحة _ إن الدين النصيحة _ إن الدين النصيحة). قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم^{٣٣}.

خامساً: القرآن الكريم هو الطريق الصحيح والمثالي لتعليم الأطفال أسس الدين والتفريق بين الصواب والخطأ، والحلال والحرام، ولهذا من المهم الحرص على جعل الأطفال يحفظون القرآن منذ الصغر. يساعد على زيادة تعليق قلوبهم بالقرآن الكريم وفهم الدين الإسلامي والأخلاق والسلوكيات الحميدة.

لذلك عمل صديق حسن خان على تعليم أطفال المسلمين الأخلاق الحسنة من خلال حفظ القرآن الكريم وتعليم العقيدة السليمة في ربوع البلاد^{٣٤}.

سادساً: نشر الوعي الثقافي وبتث التوعية الفكرية والأخلاقية في جميع أحياء الإمارة ومن خلال العديد من وسائل الإصلاح.

وكانت وسائل الإصلاح والتثقيف للسيد الأمير لتوجيه الشعب توجيهًا إسلاميًا، ونشر الفكر السليم، والوعي الديني، والعقيدة الصحيحة، وإبعاده عن الفسق، والفجور،

والخلاعة، والمجون، والتفسخ، والانحلال، والإباحية التي كانت تتسرب إلى المجتمع المسلم عن طريق الاستعمار الإنجليزي، وقواه، وعن مناهجها و التعليمية، وخطتها التبشيرية فلم يواجهها السيد بالجدل والمناظرة، وإثارة المباحث الكلامية، بل ركز جهوده في إعداد مناهج تعليمية دينية، وذخائر فكرية سليمة، وتوجيهات رشيدة مفيدة، بعمل صامت رتيب، وبخطة ساكنة خفية بين طيات الكتب، ومشاريع علمية وفكرية بناءة، ولولا هذه الجهود المركزة لضاع التراث الإسلامي الكبير^{٣٥}.

سابعًا: حظر تعاطي المخدرات وشرب المسكرات وكل مادة تذهب بالعقل وتفسده، ومن خلال المناصب التي تولاها. أصدر الأوامر الأميرية السامية بمنع شرب الخمر والمسكرات وتعاطي القمار، والارتشاء، والغش، والخدعة، وكل نوع من العمل والتجارة تخالف شريعة الإسلام^{٣٦}.

ثامنًا: تجريم الرشوة والقمار والمعاملات الربوية وذلك عملاً بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٩٠].

تاسعًا: دعوة عامة للمسلمين إلى القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك يقول: «قد اتفق المسلمون أجمعون على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقالوا: إنهما العمادان الأعظمان من أعمدة هذا الدين وأنهما واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين وجوباً مضيئاً^{٣٧}.

عاشراً: ألف كتاب تحريم الخمر والزنا واللواط والمعازف والعشق، وكتبه باللغة الفارسية حتى تستطيع شعوب القارة الهندية أن تقرأه. وقد ناقش في هذا الكتاب أدلة تحريم الخمر والزنا واللواط وبين بالأدلة الشرعية عقوبة ارتكاب هذه الذنوب والمعاصي^{٣٨} ووضع حلولاً وعلاجاً لمن ارتكبها، وتحدث كذلك عن حرمة المعازف

وخطر العشق المحرم. وبذلك نجح السيد -صديق حسن خان- نجاحًا بارزًا، فقد تغيرت الأرض غير الأرض، وتحولت الإمارة إلى حد كبير إلى إمارة إسلامية يذكر فيها الله تعالى، ويعمل بالكتاب والسنة، واختفت حوانيت الخمر والمسكرات، وأمكنة القمار والفجور، وارتفعت نغمات التوحيد والعلم والدين بين أوساط الشعب^{٣٩}.

المطلب الثالث: الإصلاح الأخلاقي تجاه المرأة:

يقول الدكتور عبدالحليم أبو شقة: «والذى يهمنا هو ما قرره الإسلام لشخصية المرأة من مكانة كريمة وما حملها من مسؤوليات جسام سواء داخل البيت أو خارجه، وما أتاحه لها من مشاركة جادة خيرة في الحياة الاجتماعية، ولكن - مع توالى القرون - حدث نوع من التردّي في مكانة المرأة المسلمة، وبلغ التردّي أقصاه في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ثم كانت مع بدايات عصر الاستعمار الحديث صدمة الحضارة الغربية المجتمع المسلمين وكان من آثارها ظهور تيارين متناقضين، تيار انبهر وزاغ بصره حتى قلد تلك الحضارة في حلوها ومرها خيرها وشرها، وتيار أغمض بصره تماما وعكف على موروثاته وقلد الآباء في كل ما خلفوه حلوه ومره حيره وشره، وبعد انقشاع آثار الصدمة أخذ كل من التيارين يعيد النظر ويعدل من مواقفه إزاء شخصية المرأة بدرجات متفاوتة وأصبح في مجتمع المسلمين نماذج متعددة يحمل بعضها أقدارًا من الاستقامة على شرع الله، وبنوء بعضها بأقدار من الانحراف^{٤٠}.

وقد أسفر نور الإسلام، فافتّر ثغر الدهر لنساء العرب عن جو مشرق، وأمل بعيد، وأسلوب من الحياة جديد رسخت أصول الإسلام، وورفت ظلاله، وخفقت على الخافقين أعلامه، ونعمت المرأة تحت ظله بوثوق الإيمان، ونهلت من معين العلم، وضربت بسهم في الاجتهاد، وشرع لها من الحقوق ما لم يُشرع لأمة من الأمم في عصر من العصور، فقد أمعنت في سبيل الكمال طليقة العنان، حتى أحملت من بين

يديها، وأعجزت من خلفها، فلم تشبهها امرأة من نساء العالمين في جلال حياتها وسناء منزلتها^{٤١}.

أولاً: بيان مكانة المرأة ودورها العظيم عند صديق حسن خان:

أ- إبرازه للدور العظيم الذي قامت به زوجته: عن عائشة أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)^{٤٢}.

أحسن صديق حسن خان صحبة زوجته -الأميرة جيهان بيكم- فكان لها نعم الزوج وأثنى عليها وعلى مآثرها في العديد من مؤلفاته ورسائله، وترجم لها فقال رحمه الله: «وهي تصلي الصلاة بجماعة النساء في مسجد البيت، وتكثر من الصوم، والذكر، وقراءة «الحزب الأعظم»، و «حصن الحصين» زاد الله أهل الرئاسة، وذوي الدولة بأمثالها، ويرزقهم العبرة بأحوالها، وقد حررت لها ترجمة حسنة في أكثر مؤلفاتي، وأوردت أشعارها الفارسية في تذكرتي»، ولها ديوان الشعر بالهندي فمن شاء زيادة الاطلاع على محاسنها، ومكارمها ومناصب جودها وسخائها، وآثارها الحسنة المتزايدة كل حين من عمارة المساجد والمدارس، والحدائق، والآبار، وجمع الفضلاء وأهل الآثار، فليرجع إليها، وهي إلى حال تحرير هذه الأحرف . حفظها الله - على حالتها الجميلة، ولها من حسن الخلق والخُلق، ولطف الطبع، وكرم الشيم، ورفعة الهمة، ومحاضرة الجواب والشجاعة والود للعلماء العاملين بالكتاب والسنة، وفصاحة اللسان، وقوة الجنان، وسرعة الإدراك ما لا يعبر عنه وصف، ولا يأتي عليه حصر، وكم من قصائد فرائد نظمها أدباء الزمان وبلغاء العصر من بلاد شتي باللسانين العربي والفارسي، بل بالهندي أيضًا، حتى اجتمع منها مؤلف كبير^{٤٣}.

يقول الشيخ محمود شلتوت: «إن مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي أكبر مسئولية في نظر الإسلام وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين

الرجل والمرأة وإذن فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المذكر، اعتمادًا على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء^{٤٤}.

ب- بيانه لمكانة المرأة في الإسلام: ألف صديق حسن خان كتاب حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، قسم الكتاب إلى جزأين الجزء الأول فيما نزل في النسوة من آيات الكتاب العزيز والجزء الثاني فيما ورد بالنسوة من أحاديث السنّة المطهرة، وشمل الكتاب أحكامًا شرعية وآدابًا إسلامية وبيانا لمكانة المرأة ودورها وواجباتها، وكان سبب تأليف الكتاب هو طلب من زوجته الأميرة جهان بيكم رحمها الله، وقال في مقدمته للكتاب: «دعنتي إلى تأليفه صاحبتي وعيبتي، في حضرتي وغيبتي، تاج الهند نواب شاهجان بيكم، حفظها الله وهي من اللاتي ملكن ناصية الحكومة والولاية في مملكة بهوبال، منذ سنة ١١٢٠ الهجرية. وإنما حملها على اقتراح ذلك على أنها لما تلت القرآن الكريم مع ترجمته بلسانها، وقرأت بعض كتب الحديث كمشكاة المصابيح وأتقنت بيانها، سألتني أن أفرد لها ما نزل وورد فيهن من نصوص الكتاب والسنّة بحيث لا يترك ذلك من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها^{٤٥}. وحفاظًا على عرض المرأة وشرفها، وتحذيرًا من العلاقات المحرمة وضررها، ألف صديق حسن خان كتاب نشوه السكران من صهباء تذكار الغزلان، وقال في مقدمته: «فهذا بيان العشق والعشاق والمعشوقات من النسوان وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمن الذي أفصح به أصحاب ديوان الصبابة وتزيين الأسواق وسبحة المرجان لخصته منها حلية للأذان وأتيت فيه بأشياء مما يزرى بأريج الريحان وسميته نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان^{٤٦}.

يقول الشيخ محمود شلتوت: «والحق أن الإسلام منح المرأة كل خير وصانها عن كل شر، ولم يأب عليها سوى ما دفعها إليه هذه المدنية الكاذبة من حرية جعلت المرأة الغربية إذا ما خلت إلى ضميرها الإنساني، تبكي دما على الكرامة المفقودة

والعرض المبتذل والسعادة الضائعة وستعلم المرأة متى ثابت إلى رشدها، أنه لا منقذ لها، ولا حافظ لكرامتها وحقوقها، سوى هذه التعاليم الإلهية التي يحاول خصوم الدين والسائرون في طريقهم من أبناء المسلمين، أن يصوروها بصورة الأغلال التي تطوق الأعناق، وتحول بينها وبين مالها من حق في الحياة^{٤٧}.

ثانيًا: أعماله الإصلاحية لخدمة المرأة:

أ- مشروع الترغيب في نكاح الأيامي وزواج الأرامل: قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٣٢].

يأمر تعالى الأولياء والأسياذ بإنكاح من تحت ولايتهم من الأيامي، وهم: من لا أزواج لهم، من رجال ونساء ثيب، وأبكار، فيجب على القريب وولي اليتيم، أن يزوج من يحتاج للزواج، ممن تجب نفقته وإذا كانوا

مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بالنكاح بأنفسهم من باب أولى^{٤٨}.

عمل صديق حسن خان جاهداً لتزويج الأيامي والأرامل والمطلقات رافضاً العادات الهندية السيئة والقبحة التي أخذها المسلمون من الهندوس، وكان قدوة لغيره حيث إنه تزوج الأميرة جيهان بيكم، والتي سبق لها الزواج قبل ذلك، ونجح في ذلك رغم التحديات والمعوقات الضخمة التي واجهته.

كان الزواج الثاني هذا خطوة جريئة للأميرة شاه جهان بيكم في المجتمع الهندي الذي لم يكن يتصور أن تتزوج المرأة بعد وفاة زوجها، وكان المجتمع المسلم في بلادنا متأثر بالتقاليد الهندوكية، ولو أنه لم يصل إلى الدرجة التي كان عليها الهنادك الذين كانوا يجبرون المرأة التي يموت عنها زوجها أن تحرق نفسها مع الزوج الميت، فلم يكن لها حق الحياة بعده، ولكن المسلمين عامة لم يكونوا يحبون أن يعقدوا الزواج الثاني

للمرأة^{٤٩}. وقال صديق حسن خان فيما ورد في نكاح الأيم وعرض الرجل ابنته على الرجال: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ حُنَيْسِ بْنِ خَدَافَةَ السُّهْمِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُؤَفِّي بِالْمَدِينَةِ - قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَرَوِّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَّتْ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي ثُمَّ حَاطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْكَحْتَهَا إِيَّاهُ، فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبَلْتُهَا) تأيمت المرأة: إذا مات زوجها، أو فارقها، وقيل: الأيم التي لا زوج لها تزوجت أو لم تتزوج، والرجل أيضًا أيم^{٥٠}.

ب_ منعه زواج المسلمة من غير المسلم: زواج المسلمة من كافر، محرم بالكتاب والسنة والإجماع، سواء كان الكافر وثنيًا أو يهوديًا أو نصرانيًا، وإن المسلمين في صدر الإسلام لم يكن قد نزل عليهم هذا التحريم وكان بعض المسلمات تحت أزواج كافرين، حتى نزل قوله تعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۚ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) [المتحنة: ١٠]، ولما هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة، فخرج أخاها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلامه فيها أن يردّها إليهما، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وحرّم الله نكاح أهل الشرك^{٥١} وقال تعالى: (وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَىٰ

النَّارِ) [البقرة: ٢٢١] فنهاهم محرماً عليهم أن يزوجوا المؤمنات بالمشركين حتى يؤمنوا فإن آمنوا جاز لهم أن ينكحوهم بناتهم ونساءهم^{٥٢}. وقد أجمع المسلمون على تحريم زواج المسلمة ممن ليس على دينها فلا التفات لمن خالف ذلك، ومن ارتبطت بكافر فهي زانية، وإن سمت زناها نكاحاً، ولذلك منع صديق حسن خان زواج المسلمة من غير المسلم، وبين حرمة ذلك في الشريعة الإسلامية.

ج- دعوة النساء للتعفف عن الزنا: حذر صديق حسن خان من أي ذريعة قد تؤدي للزنا والفواحش فقال: باب ما ورد في الخلوة مع الأجنبية عن ابن عباس أن رسول الله الله قال: (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم)^{٥٣} وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ، وفيه (من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم)^{٥٤}. وقال: باب ما ورد في كون النساء فتنة فعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)^{٥٥} وقال معلماً: ووجه كونهن أضر، لأن الطباع تميل إليهن كثيراً، وتقع في الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا وإفسادها أضر^{٥٦}. ونهي المرأة أن تأكل بفرجها وبين أن هذا من الكبائر فقال: باب ما ورد في الساعية بفرجها فعن عثمان، عن النبي صل الله قال: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع يستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله له، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشار»^{٥٧} رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي رواية له في الكبير «إلا لبغي بفرجها» أو عشار^{٥٨}. وذكر أن المرأة الزانية المحصنة حدها القتل وذكر في ذلك حديث ابن المسيب أن رجلاً من أهل الشام وجد رجلاً مع امرأته، فقتله وقتلها، فأشك على معاوية الحكم فيه، فكتب إلى أبي موسى ليسأل له علي بن أبي طالب، فقال له علي: هذا شيء ما وقع بأرضي، عزمت عليك لتخبرني، فقال له أبو موسى: إن معاوية كتب إلي به أن أسألك فيه، فقال علي:

أنا أبو الحسن، إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته، الرمة: الحبل، والمراد به الحبل الذي يقاد به الجاني^{٥٩}.

د- دعوة النساء لتجنب الكذب: نهي رحمه الله عن الأخلاق الرذيلة والتي من أسبابها الكذب فذكر ما ورد في كذب النساء عن أسماء (أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي صَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ)^{٦٠} أخرجه الخمسة إلا الترمذي وعن عبدالله بن عامر، قال: (دعنتي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ: هَا تَعَالَى أُعْطِيكَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أُرِدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ)^{٦١.٦٢}

ه- دعوة النساء لترك لبس الخفيف من الثياب: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَصْرِبُونَ النَّاسَ بِهَا، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدَنَّ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)^{٦٣}. قال صديق حسن خان رحمه الله معلقًا: كاسيات: أي بنعم الله، وعاريات: أي من شكره سبحانه، وقيل: يسترن أجسامهن ويكشفن بعضها، وقيل: يلبسن ثيابًا رقيقة تصف ما تحتها، فهن كاسيات في ظاهر الأمر عاريات في الحقيقة ومائلات: أي زائغات عن طاعة الله تعالى، وما يلزمهن من حفظ الفروج، ومميلات، أي: يعلمن غير من ذلك، وقيل: مائلات للشر، مميلات للرجال إلى الفتنة وقيل غير ذلك، قوله: رؤوسهن كأسنمة البخت: أي يكبرنها من المقانع والخبر والعمامم، أو بصلة الشعر بما تصير كأسنمة البخت^{٦٤}.

و- دعوة النساء لللبس بالحجاب: ورافق-صديق حسن خان- الأميرة بعد الزواج في رحلاتها إلى مدن الهند الكبيرة والصغيرة وكانت متحجبة، واهتمت بالحجاب بعد زواجها مع الأمير خاصة^{٦٥}.

وَعَنْ دِحْيَةَ بِنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبَاطِيٍّ، فَأَعْطَانِي مِنْهَا قُبْطِيَّةً - فَقَالَ: (اِضْذَعِهَا صَدْعَيْنِ، فَأَقْطَعْ أَحَدَهُمَا قَمِيصًا، وَأَعْطِ الْأَخَرَ امْرَأَتَكَ تَخْتَمِرُ بِهِ)، فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ: «وَأْمُرِ امْرَأَتَكَ أَنْ تَجْعَلَ تَحْتَهُ ثَوْبًا لَا يَصِفُهَا». قال صديق حسن خان -رحمه الله-: «القباطي: ثياب رفاق بيض بمصر واحدتها قبضية بضم القاف، وأما بكسر القاف: فمنسوب إلى القبط وهو الجيل المعروف، والصدع: الشق، أي: شقها نصفين، وكل واحد منهما صدع بكسر الصاد، وأما بالفتح فهو المصدر.

وعن ابن عباس قال: كانت أم سلمة لا تضع جلبابها عنها وهي في البيت. طلبًا للفضل، أخرجه رزين

وعن مالك، أنه بلغه: أن أمة كانت لعبد الله بن عمر، وكان قد رآها تهيأت بهيئة الحرائر، فأنكر ذلك عليها^{٦٦}.

ز- دعوته لعدم تشبه المرأة بالرجال: ورد في الترهيب من تشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل في لباس أو كلام أو حركة أو نحو ذلك فعن ابن عباس قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)^{٦٧} وعنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله المتشبهين بالنساء من الرجال والمتشبهات من النساء بالرجال) وفي رواية البخاري (لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ)^{٦٨} وقال صديق حسن خان -رحمه

الله-: المخنث بفتح النون وكسرهما: من فيه انخناث، وهو التكسر والتثني كما تفعله النساء، لا الذي يأتي الفاحشة الكبرى^{٦٩}.

ح- دعوته للمرأة أن تطيع زوجها: أمر الشرع الحنيف الزوجة أن تطيع زوجها حتى أنه ورد ترهيب للمرأة أن تصوم طوعاً وزوجها حاضر إلا أن تستأذنه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تَصُمِ الْمَرْأَةُ وَتَعْلُمَهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذُنُ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ كَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، فَإِنَّ نِصْفَ أَجْرِهِ لَهُ)^{٧٠.٧١}.

ط- عدم حرمان المرأة من الميراث:

حث صديق حسن خان على عدم أكل ميراث الأم والبنات والأخوات واعطائهن حقوقهن في المواريث حسب الأنصبة الشرعية وذكر في ذلك أحاديثاً تثبت حقهن في الميراث فقل باب ما ورد في ميراث البنات والأخوات عن الأسود بن يزيد، قال: أتانا «معاذ» باليمن معلماً وأميراً، فسألناه عن رجل توفي وترك ابنة وأختاً؟ ففضى للابنة بالنصف، وللأخت بالنصف. أخرجه البخاري وهذا لفظه.

وعن هزيل بن شرحبيل، قال: سئل أبو موسى عن بنت وبنيت ابن وأخت؟ فقال: للبنت النصف، وللأخت النصف، فسئل ابن مسعود، وأخبر بقول أبي موسى، فقال ابن مسعود: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، ثم قال: أقضي فيها بقضاء رسول الله الا الله: للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة للثلثين، وما بقمي للأخت فأخبر أبو موسى، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الخبر فيكم^{٧٢}.

ي- دعوته للمرأة لترك الغيبة والنميمة: بين صديق حسن خان أن من سوء الأخلاق الوقوع في الغيبة والنميمة فنصح النساء بعدم الوقوع في هذه الذنوب والمعاصي وأورد حديث عائشة رضي الله عنها قلتُ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ

كذا وكذا. قال: غير مسددٍ، تعني قصيرةً، فقال: لقد قلت كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجتُهُ. قالت: وحكيثٌ له إنسانًا. فقال: ما أحبُّ أني حكيثٌ إنسانًا وأنَّ لي كذا وكذا^{٧٣.٧٤}.

ويرى الباحث أن صديق حسن خان - رحمه الله - قام بدور عظيم في الإصلاح الأخلاقي تجاه فئات المجتمع المختلفة والمتنوعة في شبه القارة الهندية، وأبرز كذلك دور المسؤولية الاجتماعية لجميع الفئات، ووضع كل فرد أمام واجباته المدنية تجاه مجتمعه بما يُحقق أهداف المجتمع ككل، وساعده في ذلك المناصب السياسية والقيادية التي تقلدها في عصره.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الدراسة لبحث الإصلاح الأخلاقي الذي قام به صديق حسن خان في شبه القارة الهندية نستطيع أن نقول إن هذه الدراسة أظهرت لنا عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

١. قام صديق حسن خان بإحاطة أسرته بسياج من الأخلاق الحميدة لكي يكونوا نموذجًا صالحًا وقدوة عظيمة لشعوب القارة الهندية
٢. حمل صديق حسن خان العلماء والقضاة المسؤولية بنشر الأخلاق والفضيلة ووفر لهم المطابع والمكتبات والمؤلفات العلمية الدافعة على ذلك.
٣. اعتنى . رحمه الله . بشريحة طلاب العلم وألف لهم كتبًا تعينهم على التحلي بالأخلاق الحسنة.
٤. دعا الحكام وسلطين بنشر العدل والبعد عن الفساد وترك الاستبداد.
٥. دعا عامة المسلمين للترابط والتآلف وترك الفرقة والاختلاف وذلك من خلال الدروس والمواعظ في المساجد وتأليف الكتب العلمية.
٦. بين فضل المرأة المسلمة ودورها العظيم ومكانتها وألف في ذلك المؤلفات.
٧. أقام مشروعًا للترغيب في نكاح الأيامى وزواج الأراامل ورفض زواج المسلمة من غير المسلم.
٨. دعا النساء للتعفف وترك الرذائل كالتبرج والكذب والغيبة والنميمة ولبس الخفيف من الثياب، ودعاهن لعدم التشبه بالرجال.

٩. دعا صديق حسن خان لعدم حرمان المرأة من الميراث وترك العادات القبيحة من أكل حقوق المرأة الضعيفة في المجتمع الهندي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١. نشوه السكران من صحبة تذاكر الغزلان، المطبعة الرحمانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٠ م.
٢. أبجد العلوم وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ م.
٣. حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.
٤. عون الباري بحل أدلة البخاري ج ١، دار الرشيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
٥. الدين الخالص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
٦. التاج المكلل من جواهر متأثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.
٧. السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج، ج ١، الشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
٨. ظفر اللاطي بما يجب في القضاء على القاضي، دار بن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر.
٩. تحريم الخمر والزنا واللواط والمعازف والعشق، أنيد ستر، دهلي، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر.

ثانيًا: المراجع:

١. أبو شقة عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج١، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٢. المقدم محمد أحمد إسماعيل، حرمة أهل العلم، دار العقيدة، الإسكندرية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٣م.
٣. المقدم محمد أحمد إسماعيل، المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، دار طيبة، الرياض، الطبعة العاشرة، بدون سنة نشر.
٤. شلتوت محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، بدون سنة نشر.
٥. الخطيب محب الدين صحيفة الفتح الأسبوعية، عدد ٥٨٠.
٦. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان، دار بن الهيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٧. الكواكبي عبد الرحمن، طبائع الإستبداد ومصارع الاستعباد، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٨. الندوي محمد اجتناء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هجرية.
- ٩- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج٤، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر.

١٠- الغزالي أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر.

١١- نصر عادل السن الإلهية في الإصلاح والتغيير دراسة تطبيقية على منهج الأنبياء، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

الهوامش:

^١ مجموعة من المؤلفين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، المجلد الأول، الطبعة الخامسة، 2007م، ص ٣٢

^٢ الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٤

^٣ المقدم محمد أحمد إسماعيل، حرمة أهل العلم، دار العقيدة، الإسكندرية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٣م، ص ٩، ١٠

^٤ خان صديق حسن، أبجد العلوم، ص ١٢٩، ١٢٨

^٥ خان صديق حسن، التاج المكمل، ص ٥٤١

^٦ الندوي، محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٣١.

^٧ المصدر السابق، ١٣٠.

^٨ خان صديق حسن، ظفر اللاطي بما يجب في القضاء على القاضي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر، ص ٢.

^٩ المصدر السابق، ص ١٣٠، ١٢٩.

^{١٠} الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٣٣.

^{١١} كالإمام مسلم حيث أخرجه في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل به وعلمها، رقم الحديث: ص ٨١٦ / ٣٢٨

^{١٢} الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٣.

^{١٣} أخرجه: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث: ١٨٢٧، ص / ٨١٩

^{١٤} أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الزكاة، باب: فضيلة الأمير العادل والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث: ١٤٠٩، ص / ٢٧٩

^{١٥} خان صديق حسن، ظفر اللاطي بما يجب في القضاء على القاضي، ص ١٠٨.

^{١٦} المصدر السابق، ص ١٣٧.

- ١٧ خان صديق حسن، ظفر اللاطي بما يجب في القضاء على القاضي، ص ١١٨
- ١٨ الغزالي أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، ص ٤٥٥.
- ١٩ خان صديق حسن، السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج، المجلد الأول، الشؤون الدينية قطر، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ١١٨.
- ٢٠ خان صديق حسن، أبجد العلوم، ١٢٤.
- ٢١ المصدر السابق، ص ١٢٧.
- ٢٢ الندوي محمد اجتباء، الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٩.
- ٢٣ خان صديق حسن، الدين الخالص، المجلد الثالث، ص ٢٠٨.
- ٢٤ عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠ - ١٣٢٠ = ١٨٥٤ - ١٩٠٢م) ولد بجلب وألف كتاب أم القرى وكتاب طبائع الاستبداد وقدم إلى مصر عام ١٩٠٠ من الميلاد ويقول المؤرخون أن والده أحمد بهائي ابن محمد بن مسعود الكواكبي كان حجة في علم الفرائض وأمينًا للفتوى في ولاية حلب وأمه هي عفيفة بنت مسعود آل نقيب كان أبوها مقتيا لأنطاكية.
- انظر: الكواكبي عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٢٦، ٢٧.
- ٢٥ المصدر السابق ص ٢٦.
- ٢٦ خان صديق حسن، ابجد العلوم، ص ٢٧٩.
- ٢٧ خان صديق حسن، الدين الخالص، المجلد الثالث، ص ٢٠٨.
- ٢٨ الندوي سيد محمد اجتباء، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٥٢، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، العدد ٢، عام ٢٠٠١.
- ٢٩ الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٣.
- ٣٠ أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.
- ٣١ الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٤.
- ٣٢ الندوي سيد محمد اجتباء، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٥٢.
- ٣٣ الخطيب محب الدين، صحيفة الفتح الأسبوعية، عدد ٥٨٠ ص ٢١.
- ٣٤ صحيح النسائي رقم (٤٢١٠).
- ٣٥ الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٩، ١٣٠.
- ٣٦ الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٩.
- ٣٧ المرجع السابق، ص ١٢٤.
- ٣٨ خان صديق حسن، عون الباري بجل أدلة البخاري، المجلد الأول، ص ١٢٣.
- ٣٩ خان صديق حسن، تحريم الخمر والزنا واللواط والمعازف والعشق، ايند ستر ديلهي الطبعة الأولى، بدون سنة نشر، ص ٣.

- ٤٠ أبو شقة عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الأول، دار القلم، الكويت، ١٩٩٩، ص ٦٩.
- ٤١ المقدم محمد أحمد إسماعيل، المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، دار طيبة، الرياض، الطبعة العاشرة، ص ٧٤.
- ٤٢ أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) واللفظ له، والدارمي (٢٢٦٠).
- ٤٣ خان صديق حسن، التاج المكلل، ص ٥٣٣.
- ٤٤ شلتوت محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، ص ٢١٩.
- ٤٥ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٨١، ص ١٣، ١٤.
- ٤٦ خان صديق حسن، نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، المطبعة الرحمانية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٢٠، ص ٢.
- ٤٧ شلتوت محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ص ٢٢٥.
- ٤٨ السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠، ص ٥٦٧.
- ٤٩ الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٦.
- ٥٠ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٤٧٩.
- ٥١ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص ٣١٥.
- ٥٢ الجزائري أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المجلد الأول، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر، ص ٢٠٤.
- ٥٣ أخرجه مسلم برقم: (١٣٤١)، والبخاري (٣٠٠٦) باختلاف يسير
- ٥٤ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٥٢١.
- ٥٥ أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).
- ٥٦ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٣٦٥.
- ٥٧ أخرجه الطبراني (٥١/٩) (٨٣٩١).
- ٥٨ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٥١٢.
- ٥٩ المصدر السابق، ص ٤٤٩.
- ٦٠ أخرجه البخاري برقم: ٥٢١٩.
- ٦١ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٥٥٧.
- ٦٢ أخرجه صحيح أبي داود، برقم (٤٩٩١).
- ٦٣ أخرجه مسلم (٢١٢٨).
- ٦٤ خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٥٠٧.

- ^{٦٥} الندوي محمد اجتباء، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢١.
- ^{٦٦} خان صديق حسن، حسن الأسوة، ص ٤٥٩.
- ^{٦٧} أخرجه البخاري برقم (٥٨٨٦).
- ^{٦٨} أخرجه البخاري برقم (٥٨٨٦).
- ^{٦٩} خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٥٦٩، ٥٧٠.
- ^{٧٠} خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٥١٦.
- ^{٧١} أخرجه مسلم برقم: (١٠٢٦) والبخاري (٥١٩٥) باختلاف يسير.
- ^{٧٢} خان صديق حسن، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص ٤٤١.
- ^{٧٣} المصدر السابق، ص ٤٢٧.
- ^{٧٤} أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢).